Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية
المجلد9،العدد2
2022

فقه التّواصل النّبويّ
مقاربة تداوليّة لحديث "إناء اللّبن"

Jurisprudence of Prophetic Communication
A pragmatic approach to the hadith of "the bowl of mlik"

د. خالد حميدات[1]

جامعة لونيسي علي: البليدة 02 (الجزائر)، مخبر اللغة العربية وآدابها

البريد الإلكتروني: ek.hamidat@univ-blida2.dz

ط.د. مقدم صدام حسين

جامعة تيسمسيلت (الجزائر)، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

البريد الإلكتروني: Seddamletters@gmail.com

تاريخ الإرسال:2022/08/25	تاريخ القبول:2022/12/05	تاريخ النشر:2022/12/30

الملخص

يعدّ الخطاب النّبويّ أرقى أنواع الخطابات بعد الخطاب القرآنيّ، نظرا لتميّزه في المضمون والأسلوب والحجاج والإقناع، وتفرّده في الفصاحة والبلاغة، واستئثاره بقيمٍ تربويّة، وأخلاقيّة، واجتماعيّة، وعلميّة، وعقليّة، وهو خطاب تفاعليّ، تضمّن الأسس الرّئيسيّة في أنواع الخطاب المشهورة (الحوار، الجدل، النّقاش، المناظرة)، إضافة إلى ما احتواه من إستراتيجيّات خطابيّة متنوّعة؛ لفظيّة وغير لفظيّة، تنوّعت وفقا لأحوال السّياق ومقامات الكلام، توجيها، وتلميحا، وتضامنا، وإقناعا.

ويهدف هذا البحث من خلال قراءة الخطاب النّبويّ قراءة تداوليّة إلى التّمييز بين إستراتيجيّاته المختلفة، والتّعرّف على بعض آليّاتها، والإسهام في بناء فقه التّواصل النّبويّ.

الكلمات المفتاحيّة: : خطاب نبويّ، إستراتيجيّة خطابيّة، تواصل لغويّ.

1 المؤلف المرسل

Abstract:
The Prophetic discourse is considered the highest type of discourse after the Qur'anic discourse, due to its distinction in content, style, argumentation and persuasion, its uniqueness in eloquence and eloquence, and its appropriation of educational, moral, social, scientific, and intellectual values. debate, debate), in addition to its various discursive strategies; Verbal and non-verbal, varied according to the conditions of the context and the positions of speech, direction, hint, solidarity, and persuasion.

This research aims, through a pragmatic reading of the prophetic discourse, to distinguish between its various strategies, identify some of its mechanisms, and contribute to building the jurisprudence of prophetic communication.
Keywords: Prophetic discourse, rhetorical strategy, linguistic communication.

1. مقدمة:

لقد عَرَفَ النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– ألسنةَ العرب وأساليبهم في الكلام، وجمع من الكلام رونق الحضارة وجزالة البداوة، في لفظ ناصع، ومعان صحاح، وعبارات مضيئة، لا تكلّف فيها، وهو يخاطب الوجدان، ويهزّ الضّمير، ويوقظ العقل، ويلامس الإحساس، ويُنبّه الوعي والإدراك، ويؤثّر في قلوب المخاطَبين، ويطيّب نفوسهم، حتّى إنّها لتُذرف دموعهم، وترِقّ وتخشع قلوبُهم[1].

ولا يختلف اثنان في أنّ لغة النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– تعتبر أعلى نموذج بشريّ يمكن الاستفادة منه، وأنّ خطابه يشكّل مصدرا هامّا لمختلف العلوم، وهو يحمل من المفاهيم والفوائد ما يغني الباحث عن غيره من الخطابات، ولا شكّ في أنّ دراسته والتّنقيب فيه يفضيان إلى علم غزير، يحلّ مشاكل عويصة، ويفتح أبوابا كثيرة، استغلقت في عصرنا الّذي نعيشه، وذلك في جميع مجالات الحياة، وهو ما سيقرّبنا من الدّقة، ويصل بنا إلى نتائج أفضل. وهو كذلك "خطاب تعليميّ يحقّق الغايات التّشريعيّة والتّبيينيّة، وقد اختصّ من بين أنواع الخطاب بجمعه بين التّعليم والإقناع والإمتاع تحت مِظلّة التّبليغ"[2].

وقد اعتنى الصّحابة –رضوان الله عليهم– برواية أقوال النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– وأفعاله وما أقرّه، فكانوا بين مُكثر ومُقلّ، ولعلّ سبب عنايتهم هذه تحفيزُ النّبي –عليه الصّلاة والسّلام– نفسِه لهم، فقد روى أبو داود عن زيد بن ثابت أنّه قال: "**سمعت رسول الله –صلّى الله عليه وسلمّ– يقولّ نضّر الله امرأً**

(1) ينظر: محمود مصطفى الأعصر، بلاغة الرسّول –صلّى الله عليه وسلّم– وفصاحته، مجلّة الفيصل، دار الفيصل الثّقافيّة، الرّياض، السّعوديّة، العدد: 165، ربيع الأولّ 1411هـ/ أكتوبر 1990م، ص42.

(2) هند سحلول، ملامح الأسلوب الإيحائيّ في الخطاب النّبويّ، مجلّة جامعة دمشق للآداب و العلوم الإنسانيّة، جامعة دمشق، سوريا، المجلّد: 33: العدد: 01، 2017م، ص63.

سمع منّا حديثا فحفظه حتّى يبلّغه، فرُبّ حاملِ فقه إلى من هو أفقه منه، ورُبّ حاملِ فقه ليس بفقيه"[1].

وكان أكثرهم يحفظون ما يسمعون من النّبي –عليه الصّلاة والسّلام– ويروونه شفاها، وقلّ منهم من كان يكتب، وربّما كان من يعرف الكتابة منهم يُحجم عنها؛ لأنّ النّاس كانوا يعيبون على من يفعل ذلك، ولم يكن الحقّ معهم، ودليل ذلك ما رواه أبو داوود عن عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو، قال: "**كنتُ أَكتُبُ كلَّ شيءٍ أَسمَعُهُ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فنَهَتْنِي قُرَيشٌ، وقالوا: أَتكتُبُ كلَّ شيءٍ تَسمَعُهُ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بَشَرٌ يَتكلَّمُ في الغضبِ والرِّضا؟، فأَمسَكْتُ عن الكِتابِ، فذَكَرْتُ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأَومأَ بأُصبُعِهِ إلى فيه، فقال: اكتُبْ؛ فوالَّذي نفْسي بيدِهِ، ما يَخْرُجُ منه إلَّا حقٌّ**"[2].

ولهذا، فإنّ خطاب النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– لمن حوله من الصّحابة وغيرِهم خطابٌ شفهيّ كلُّه، لكنّه بعد أن دُوّن أصبح خطابا كتابيّا، ويُستثنى من ذلك تلك الرّسائل الّتي بعثها إلى ملوك الأرض وقادة الأمم والشّعوب والقبائل في عصره، يعرضُ فيها عليهم الإسلام، أو يُجري هدنة معهم.

ولسنا هنا في مقام التّأريخ لمراحل رواية الحديث النّبويّ وتدوينه، لكن يكفينا أن نعلم أنّ الله مثلما سخّر صدورا واعية لكتابه الكريم، حفظته لنا غضّا طريّا كما كان في الزّمن الأوّل، فقد سخّر رجالا عظاما نافحوا عن سنّة النّبي –عليه الصّلاة والسّلام– وفضحوا أمر من كذب عليه، وكان مذهبُهم التّحرّي والحيطة والحذر في قَبول الأحاديث، فأجازوا ما صحّ منها، وضعّفوا ما ضعف، ولم تأخذهم هوادة أو استكانة في ذلك، فأوصلوا لنا تراثا قيّما لم تحزه أمّةٌ غيرُ أمّة الإسلام.

<u>وتتمثّل المشكلة الأساسية لهذا البحث في الأسئلة الآتية:</u>

- ✓ ما المقصود بإستراتيجيّات الخطاب؟
- ✓ ما هي أهمّ آليّات إستراتيجيّات الخطاب الّتي استخدمها النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– في حواره مع أبي هريرة –رضي الله عنه– في حديث اللّبن.
- ✓ هل يساعد تطبيق المنهج التّداوليّ في فهم خطابات النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– وبناء فقه التّواصل لديه؟

---

(1) أبو عبد الرّحمن محمّد ناصر الدّين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودريّ الألبانيّ (المتوفى: 1420هـ)، صحيح وضعيف سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث السّجستانيّ، ط01، الرّياض السّعوديّة، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، 1419هـ/ 1998م، ج02، ص411، رقم: 3660.

(2) المصدر نفسه، ج02، ص408، رقم: 3646.

وقد سعى هذا البحث إلى الإجابة عن هذه الأسئلة، انطلاقا من معالجة الآتي:

- ✓ مفهوم الخطاب وإستراتيجيّة الخطاب.
- ✓ أنواع إستراتيجيّات الخطاب.
- ✓ إستراتيجيّات الخطاب النّبويّ في حديث اللّبن الّذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

2. إستراتيجيّات الخطاب:

1.2 الخطاب:

قبل أن نأتي إلى تعريف إستراتيجيّة الخطاب، نشير –في عجالة– إلى مصطلح (الخطاب)، الّذي يعدّ من أكثر المصطلحات شيوعا، وهو واحد من المفاهيم الحديثة الّتي اختلفت الدّراسات، وتعدّدت الآراء في تحديدها، وهو مفهوم عصيّ عن التّحديد، "غيرُ متّفق عليه"[1]، تتنازعه العديد من التّخصّصات والنّظريّات والحقول المعرفيّة؛ كاللّسانيّات، وعلم الاجتماع، وعلم النّفس، والعلوم السّياسيّة، والإعلام والتّواصل، والنّقد الأدبيّ، والفلسفة...

ويمكننا تعريف الخطاب –في إطار ما يخدم بحثنا– بأنّه وحدة تواصليّة قصديّة، كلاميّة أو كتابيّة، قد تكون جملة أو نصّا كاملا، وسيلتُها اللّغة، يُنشئها مخاطِب في سياق تواصليّ اجتماعيّ أو ثقافيّ، شفويّا أو كتابيّا، يهدف من خلالها إلى إفادة مخاطَب، أو إقناعه، أو إفهامه، أو التّأثير فيه، ويتحدّد نوع الخطاب من خلال المواقف الّتي يُلقى فيها، وطبيعة الأساليب والطّرق الّتي يستعملها المخاطِب في تواصله، فيكون خطابا دينيّا، أو تربويّا، أو سياسيّا، أو اجتماعيّا، أو علميّا...إلخ.

ويختلف الخطاب في اللّغات الطّبيعيّة من حيث حجمُه، فقد يرد جملة، أو مجموعة من الجمل، أو نصّا متكاملا، كما قد يختلف من حيث نمطُه، فيكون خطابا سرديّا، أو وصفيّا، أو حجاجيّا، أو فنّيّا، أو علميّا، إلى غير ذلك من الأنماط الخطابيّة المعروفة[2].

وترجع أصالة مصطلح الخطاب في الثّقافة العربيّة إلى إطلاقه على لفظ القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف، فقد اعتبره علماء أصول الدّين قولا تفاعليّا في حدث فعّال، وليس نصّا مدّونا ثابتا فقط،

(1) فوزي نوريّة صالح، الخطاب المسرحيّ في النّقد الأدبيّ في الخليج العربيّ، مجلّة فصول، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، المجلّد: 16، العدد: 03، 1997م، ص189.

(2) ينظر: أحمد المتوكّل، الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة، ط01، الرّباط، المغرب، دار الأمان، 1431هـ/ 2010م، ص21.

فأطلقوا على الأدلّة الشّرعيّة من الكتاب والسّنّة: الخطابَ الشّرعيّ، فالخطاب في لفظه شكلٌ لغويّ في سياق تفاعليّ أو تواصليّ، فإن اجتُزئ من سياقه، صار نصّا، كنصّ الكتاب أو الأثر المدوّن[1].

وثمّة عناصر أساسيّة لا يقوم الخطاب، ولا يتبلور إلّا بها، وهي "عناصر سياقيّة، لها سمات غير ثابتة؛ لأنّها تجري تداوليّا في السّياق"[2]، وهي: المخاطِب، والمخاطب، والخطاب، و"العناصر المشتركة، مثل العلاقة بين طرفي الخطاب، والمعرفة المشتركة، والظّروف الاجتماعيّة العامّة...، والقيود الّتي تؤطّر عمليّة التّواصل"[3].

2.2 مفهوم إستراتيجيّة الخطاب:

يؤدّي تنوّع السّياق، وعناصر تشكيل الخطاب إلى تنوّعٍ في الخطاب نفسه، حينما ينتجه المرسل، "ممّا يستتبع تنوّعا في أشكال الخطابات لغويّا. ويغدو واضحا أنّ هذا التّنوّع نتيجة لعمليّة حدثت عبر مساق ممتدّ بين التّنوّع السّياقيّ والتّشكّل اللّغويّ، وهذه العمليّة توسم بأنّها إستراتيجيّة الخطاب"[4].

ويتألّف مصطلح (إستراتيجيّة الخطاب) من مصطلحين، هما الإستراتيجيّة والخطاب. ولكي نصل إلى تحديد مفهومه قد عرّفنا المفهوم الخاصّ (الخطاب)، وبقي أن نعرّف المفهوم العامّ (الإستراتيجيّة).

تختلف الإستراتيجيّات باختلاف الظّروف المحيطة بالخطاب، والعقبات والعوائق الّتي تعترضه، والتّغيّرات الّتي تطرأ على عناصره، واختلاف القدرات الذّهنيّة للمتخاطبين، وطبيعة العلاقة بينهم، لذا يحاول المرسل دائما التّنويع في اختيار الإستراتيجيّة المناسبة، و"استعمال اللّغة بكيفيّات منظّمة ومتناسقة"[5]، لتكون مناسبة للسّياق التّواصليّ، منتهجا في ذلك أسلوبا فعّالا غير مكلّف، وهذا يعني "أنّ الخطاب المنجز يكون خطابا مخطّطا له، بصفة مستمرّة وشعوريّة"[6].

وليتمكّن المرسل من اختيار إستراتيجيّة الخطاب المناسبة، ينبغي أن يمتلك كفاية تواصليّة تفوق كفايته اللّغويّة، تجعله يتكيّف مع السّياق؛ إذ إنّ "القوانين اللّغويّة تصف ما يستطيع أن يفعله

(1) ينظر: محمود عكّاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظريّة أحداث اللّغة: دراسة تطبيقيّة لآساليب التّأثير والإقناع الحجاجيّ في الخطاب النّسويّ في القرآن الكريم، ط01، القاهرة، مصر، دار النّشر للجامعات، 1435هـ/ 2014م، ص17، 18.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب (مقاربة لغويّة تداوليّة)، ط01، بنغازي، ليبيا، دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2004م، ص40.

(3) المرجع نفسه، ص39.

(4) المرجع نفسه، ص52.

(5) المرجع نفسه، ص56.

(6) المرجع نفسه، ص56.

المرسل/المرسل إليه في لغة معيّنة، أمّا قوانين التّواصل، فإنّها تصف ما يُستحسن فعله. وتتعامل الإستراتيجيّات مع عمليّة اختيار أفضل الوسائل تأثيرا من السّلوكيّات التّواصليّة التّبادليّة"[1]. ولتفعيل الكفاية التّواصليّة لا بدّ من وضع آليّة، منهج، خطّة، طريقة، ينتهجها المرسل ليحقّق أهدافه من خلال خطابه، مستعينا في ذلك –مع اللّغة– بكلّ ما يمكنه من إستراتيجيّات علميّة، أو نفسّية، أو اجتماعيّة[2].

وتفاوت النّاس في قدرتهم على إنجاز خطاباتهم واختيارِهم للإستراتيجيّات الخطابيّة المناسبة مَرَدُّه إلى تفاوت كفاياتهم التّواصليّة، ويتّضح ذلك "عند قصور البعض في التّعبير عن قصده، أو دون تحقيق أهدافه؛ فقد يخفق أحدهم في حين يُوفّق غيره مع تماثل في بعض عناصر السّياق أو تشابه"[3].

وقد دفع هذا الإخفاقُ الكثيرين إلى محاولة تحسين كفايتهم التّواصليّة، من خلال التّعلّم والمران والاستعمال المكثّف للّغة في مواقف اجتماعيّة متنوّعة، إيمانا منهم بضرورة ذلك في تحقيق أهدافهم وغاياتهم، لذا "تعدّ الإستراتيجيّة عملا إبداعيّا يمارسه كلّ إنسان سويّ"[4].

ولأنّ الخطاب لا يتجلّى دون استعمال العلامات المناسبة، فإنّ التّواصل بين النّاس لا يعتمد على اللّغة الطّبيعيّة وحدها، وإنّما يحتاج إلى استعمال بعض العلامات غير اللّفظيّة، الّتي قد تجعل الخطاب يوصف بأنّه نوع من السّلوك المتأدّب أو العدواني، وغير ذلك من الأوصاف[5].

وعليه يمكننا تعريف إستراتيجيّة الخطاب بأنّها: فنّ يستعمله المرسل، وطريقةٌ يتّخذها عند إنتاج خطابه، يسعى من خلالها إلى التّعبير عن مقاصده، وتحقيق أهدافه، والتّأثير في غيره، موظّفا في ذلك ما يُتاح له من أساليب التّواصل اللّفظيّ وغير اللّفظيّ، مراعيا السّياق وعناصره المختلفة، واللّغة الطّبيعيّة المستعملة، وطبيعة المتلقّي وأحواله، وردّة فعله، ومختلف العوائق والعقبات الّتي قد تعترضه.

وعموما فإنّ ثمّة ثلاثة معايير تُصنّف حسبها إستراتيجيّات الخطاب، هي[6]:

01. معيار اجتماعيّ أخلاقيّ: يمثّل العلاقة بين طرفي الخطاب (المرسل والمرسل إليه)، تفرّعت عنه الإستراتيجيّتان التّضامنيّة والتّوجيهيّة.

---

(1) الشّهري، ص59، نقلا عن: فرانسوا أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القوميّ، الرّباط، المغرب، دط، 1986، ص07.

(2) ينظر: وداد محمّد نوفل، التّواصل وإستراتيجيّات الخطاب الإعلانيّ وبلاغته –نماذج تطبيقيّة– مجلّة بحوث كلّيّة الآداب، كلّية التّربية، جامعة المنصورة، مصر، ص79،80.

(3) الشّهري، مرجع سابق، 61.

(4) المرجع نفسه، 62.

(5) ينظر: المرجع نفسه، 55، 56.

(6) ينظر: المرجع نفسه، ص87،88.

02. معيار لغويّ: وهو معيار شكل الخطاب، واللّغة المستعملة فيه، وهو معيار دلاليّ، يعبّر عن مقاصد المخاطِب، تُستعمل فيه الدّلالة المباشرة، أو التّلميحيّة، وتأسّست عليه الإستراتيجيّة التّلميحيّة.

03. معيار هدف الخطاب: غايته التّأثير في المتلقّي. وتأسّست عليه الإستراتيجيّة الإقناعيّة.

وقد كثرت البحوث والدّراسات لدى العرب والغرب الّتي اهتمّت بإستراتيجيّات الخطاب وتحديد أنواعها تبعا للمجال الّذي ترد فيه، ولعلّ العمل الطّيّب الّذي قام به (عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ) يحسُن الاعتماد عليه، والرّجوع إليه؛ إذ قد قام بتجميع هذه الإستراتيجيّات عارضا إيّاها في أربعة أنواع هي: الإستراتيجيّة التّضامنيّة، الإستراتيجيّة التّوجيهيّة، الإستراتيجيّة التّلميحيّة، الإستراتيجيّة الإقناعيّة.

3. أنواع إستراتيجيّات الخطاب:

1.3 الإستراتيجيّة التّضامنيّة:

يمكن تعريف الإستراتيجيّة التّضامنيّة بأنّها "آليّة خطابيّة حركيّة سلوكيّة، توظَّف ضمن المواقف التّواصليّة؛ تقوم على المواءمة، والانسجام، والألفة، وتهدف إلى توطيد وتثبيت علاقة مع طرف ما لغرض ما"[(1)]. وهي كذلك الإستراتيجيّة "الّتي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعَها، وأن يعبّر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها، بإزالة معالم الفروق بينهما. وإجمالاً هي محاولة التّقرّب من المرسل إليه وتقريبه"[(2)].

والتّقرّب من المرسل إليه وتقريبه يعتمدان بالأساس على إلغاء المسافات الاجتماعيّة بين المتخاطبين، وإبعاد عامل السّلطة، ليحلّ مكانه عامل آخر هو التّأدّبُ في الخطاب وتهذيبُه، ممّا يسمح بإقامة علاقة تفاعل على نحو ما، يُحقّقَ فيها شرطُ (الإخلاص) الّذي "يجعل المرسل إليه يشعر أنّ المرسل يميل إليه ميلا طبيعيّا خاليا من أيّ دوافعَ أو أغراض منفعيّة"[(3)].

2.3 الإستراتيجيّة التّوجيهيّة:

بخلاف الإستراتيجيّة التّضامنيّة، يسعى المرسل من خلال الإستراتيجيّة التّوجيهيّة إلى فرض وصاية وقيدٍ على المرسل إليه، بشكل أو بآخر، أو ممارسة سلطة عليه، بتوجيهه إلى ما ينفعه، أو صرفه عمّا يضرّه، ويستعمل ذلك حينما يكون السّياق غير مناسب للخطابات المرنة، والتّأدبِ التّعامليّ، ولا يعني ذلك السّيطرة التّامّة عليه؛ لأنّ المرسل يسعى دائما إلى الحفاظ على استمراريّة الخطاب، وتحقيق الهدف منه، والحفاظ على علاقته مع المرسل إليه.

---

(1) براهيمي، مرجع سابق، ص35.

(2) الشّهريّ، مرجع سابق، ص257.

(3) المرجع نفسه، ص258.

3.3 الإستراتيجيّة التّلميحيّة:

ويمكن تعريف الإستراتيجيّة التّلميحيّة بأنّها إستراتيجيّة غير مباشرة، يبلّغ المرسل من خلالها خطابه تلميحا دون تصريح، لغاية من الغايات، تتعلّق به، أو بالمرسل إليه، أو بالظّروف المحيطة بالخطاب، حينما يعلم أنّ المعنى الحرفيّ لن يؤدّي المقصود. ويعتمد في ذلك على عناصر السّياق، وعلى قدرة المرسل إليه على تحليل الموقف التّواصليّ، واستنباط مختلف الدّلالات والمقاصد الّتي يحملها الخطاب.

وهذا يعني أنّ المعنى المقصود –في ظلّ هذه الإستراتيجيّة– ليس المعنى الموجود في الخطاب، وإنّما هو المعنى الّذي يمكن إدراكه من خلال السّياق، والقرائن الدّالة على قصد المرسل.

ولجوء المرسل إليه إلى التّلميح في خطابه يكون "استجابة لدواع سياقيّة"[1]، وغايات تواصليّة، وقد أدرك ذلك علماءُ العرب القدامى حين كلامهم عن العدول من الحقيقة إلى المجاز؛ منهم الإمام (السّبكيّ) الّذي رأى أنّ هذا العدول يكون لأغراض، منها: "ثقل الحقيقة، أو بشاعتها، أو جهلها، أو بلاغته –أي المجاز– أو شهرته، أو غير ذلك"[2]، ومنهم (السّيوطيّ) الّذي رأى أنّ من أغراض العدول إلى المجاز التّلطّف؛ إذ يقول: "فالتّعبير بالحقيقة يفيد العِلم، والتّعبير بلوازم الشّيء الّذي هو المجاز لا يفيد العلم بالتّمام، فيحصل على دغدغة نفسانيّة، فكان المجاز آكد وألطف"[3].

4.3 الإستراتيجيّة الإقناعيّة:

يرمي المرسل من استعمال هذه الإستراتيجيّة إلى تحقيق أهداف خطابيّة تعود عليه بالنّفع، تتفاوت من حيث أهمّيّتها، حسب نوع الخطاب، والمجال الّذي يرد فيه، كالتّأثير في المرسل إليه، وجعله يتبنّى رأيا أو معتقدا أو فكرة ما، ويتخلّى عن أخرى، أو دفعه إلى فعل شيء، والتّخلّي عن آخر، و "تبصيره بالرّأي الّذي يوصله إليه"[4]. ويحصل الاقناع "بمجرّد اعتقاد الطّرف الآخر بصحة الرّأي أو الفكرة، حتّى وإن لم يُترجم عمله إلى سلوك يترتّب عليه اقتناعه بالضّرورة"[5]، فلا يتحقّق الإقناع ما لم يتحقّق الاقتناع.

---

(1) الشّهريّ، مرجع سابق، ص370.

(2) بدر الدّين، محمّد بن بهادر بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ المصريّ (المتوفّى: 794هـ)، تشنيف المسامع بجمع الجوامع، تحقيق: أبو عمرو الحسينيّ بن عمر بن عبد الرّحيم، ط01، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 2013م، ج01، ص226.

(3)عبد الرّحمان بن أبي بكر جلال الدّين السّيوطيّ (المتوفّى: 911هـ)، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط01، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1418هـ/ 1998م، ج01. ص286.

(4) سمير شريف استيتيه، اللّسانيّات: المجال والوظيفة والمنهج، ط02، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، 1429هـ/2008م، ص700.

(5) المرجع نفسه، ص700.

ويعتمد الإقناع على الحجاج بوصفه أداة ووسيلة لتحقيق أهداف الخطاب، فالحجاج إستراتيجيّة لغويّة تتأسّس تبعا لسياق الخطاب[1]، وقد كانت حاجة الإنسان منذ القدم ماسّة إلى الحجاج والجدل، في إقرار الحقّ، أو في بطره، وهو طبيعة وسجيّة في الإنسان، قال الله –تعالى–: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54].

4. إستراتيجيّات الخطاب النّبويّ في حديث اللّبن:

الحديث:

"حَدَّثَنِي أَبُو نُعَيْمٍ –بِنَحْوٍ مِنْ نِصْفِ هَذَا الحَدِيثِ– حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، كَانَ يَقُولُ: أَللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الحَقْ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ»، قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ»، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ»، فَقَعَدْتُ

(1) ينظر: منصور جودي، مرجع سابق، ص72.

فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ»، حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي»، فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ"[1].

- مكوّنات السّياق:

- **موضوع الخطاب:** جوع أبي هريرة، وطلبه للطّعام، واستضافة النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- له ولأهل الصّفة في بيته.

- **الحضور:** راوي الحديث: أبو هريرة رضي الله عنه، النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، أهل الصّفّة.

- **المكان:** المدينة المنوّرة.

- **الزّمان:** لم يُذكر في الحديث، ولكنّه كان بعد إسلام أبي هريرة-رضي الله عنه- وقدومه إلى المدينة، وقد "أسلم عام خيبر...، وقدم المدينة في سنة سبع..."[2]، أي إنّ زمن الخطاب كان ما بين سنة (629 م) والسنة (632 م) الّتي توفّي فيها النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام.

- ملابسات الخطاب:

لقد فاضل الله -تعالى- بحكمته وعلمه بين عباده، فجعل منهم الغنيّ والفقير. ويذكر الحديث حال النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- وحال صحابته رضوان الله عليهم، وما كانوا عليه من شظف العيش وصعوبته. ورواي الحديث أبو هريرة -رضي الله عنه- هو أحدَ المهاجرين إلى المدينة القادمين من (دوس)، ولا أهل له فيها ولا عشيرة[3]، وقد كان من أهل الصّفّة[4]، ذا حاجة وفاقة، وكان يصيبه الجوع الشّديد، ويستحيي أن يخبر النّاس به، فيلصق كبده بالأرض، أو يضع الحجر على بطنه ليخفّف من

---

(1) محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريّ الجعفيّ، الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمور رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وسننه وأيّامه: صحيح البخاريّ، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر النّاصر، ط01، بيروت، لبنان، دار طوق النّجاة، 1422هـ/ 2002م، ج08، ص96، رقم: 6452.

(2) علي بن محمّد كمال بن عبد ربّه، صور من سير رجال حول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، دط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 2003م، ص258.

(3) أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسيّ، شرح كتاب الرّقاق من صحيح البخاريّ، دروس صوتيّة قام بتفريغها موقع الشّبكة الإسلاميّة، الدّرس: 03، الرّابط: https://al-maktaba.org/book/32415/29#p14، تاريخ الاطّلاع: 01/ 10/ 2020م.

(4) "كانوا فقراء يقدمون عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما لهم أهل ولا مال، فبنيت لهم صفّة فِي مسجد رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ...فجعل المسلمون يوصلون إليها مَا استطاعوا من خير". جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمان بن عليّ بن محمّد الجوزيّ (المتوفى: 597هـ)، تلبيس إبليس، ط01، بيروت، لبنان، دار الفكر للطّباعة والنّشر، 1421هـ/ 2001م، ص146.

جوعه[1]. وذَكر أنّه ذات يوم عرّض به تعريضا، حين قعد في طريق الصّحابة الّذي يخرجون منه، وسألهم عن آية من كتاب الله، لعلّهم يعرفون ما به، فينال شيئا من الطّعام، ويغني نفسه عن المسألة، ويحفظ ماء وجهه، لكنّ أحدا لم ينتبه له، إلى أن مرّ النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– وعرف ما به، وقضى حاجته.

– **الهدف التّواصليّ عند النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام:** إكرام ضيوفه، تعليم أبي هريرة –رضي الله عنه– الصّبر والإيثار، بيانُ نعم الله تعالى.

– **الهدف التّواصليّ عند أبي هريرة رضي الله عنه:** توطيد علاقته بالنّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– من خلال طاعته وامتثال أوامره، نيل رضا الله عزّ وجلّ، طلب العلم والاستفادة من أخلاق النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، الحصول على طعام يقيم به صلبه.

– إستراتيجيّات الخطاب في الحديث السّابق:

سيكون تركيزنا على إستراتيجيّات الخطاب النّبويّة، وسنمرّ على بعض الإستراتيجيّات الّتي استعملها أبو هريرة رضي الله عنه.

"أَللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ". أقسم أبو هريرة –رضي الله عنه– أنّ الجوع الشّديد كان يبلغ به إلى أن يلصق كبده بالأرض، أو يشدّ الحجر على بطنه[2]، وقد جلس ذات مرّة في طريق الصّحابة الّذي يخرجون منه، وفعلُه هذا يعدّ آليّة تلميحيّة غير لفظيّة، وهو تعريض منه، أراد به لفت انتباههم إلى حاله. وحينما مرّ به أبو بكر، ومن بعده عمرُ –رضي الله عنهما– استعمل آليّة تلميحيّة لغويّة، وهي الاستفهام، فسأل كليهما عن آية من آيات الله، ولم يكن هدفه الحصولَ على المعلومة، بقدر ما كان هدفه أن يطعماه شيئا يُقيم صلبه، وقد صرّح بذلك في الحديث، فقال: "مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي"، لكنّ هاتين الإستراتيجيّتين لم تنجحا؛ لأنّ الصّحابيّين الجليلين مرّا ولم يطعماه.

---

(1) قال العينيّ: "... وَفَائِدَة شدّ الْحجر على الْبَطن المساعدةُ على الِاعْتِدَال والانتصاب على الْقيام أَو الْمَنْع من كَثْرَة التَّحَلُّل من الْغذَاء الَّذِي فِي الْبَطن لكَونهَا حِجَارَة رقاقاً تعدل الْبَطن، وَرُبمَا سدت طرف الأمعاء فَيكون الضعْف أقل، أَو تقليل حرارة الْجُوع ببرودة الْحجر، أَو الْإِشَارَة إِلَى كسر النَّفس وإلقامها الْحجر، وَلَا يمْلَأ جَوف ابْن آدم إِلَّا التُّرَاب". أبو محمّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابيّ الحنفيّ بدر الدّين العينيّ (المتوفّى: 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، دط، بيروت، لبنان، دار إحياء التّراث العربيّ، 2010م، ج23، ص59.

(2) قوله (أللهِ...)، و"عند العينيّ بالنّصب بدون المدّ، قال : قسمٌ حُذف حرف الجرّ منه". تعليق محمّد صدقي العطّار على أحاديث البخاريّ، صحيح البخاريّ، ط01، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1994م، كتاب الرّقائق، بَابٌ: كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَتَخَلِّيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، ص 1628.

وبقي على حاله تلك، إلى أن مرّ به النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، فتبسّم حين رآه، وفعلُه هذا آليّة تضامنيّة غير لفظيّة، لها مسوّغات عظيمة، من بينها: توطيد العلاقة والمحبّة بينه وبين أبي هريرة، وإظهار الشّفقة والرّحمة به، وإبراز الرّغبة في مساعدته من خلال التّواضع والتّقرب منه، وتأسيس نموذج القدوة الحسنة، وإبعاد عامل السّلطة، ليحلّ مكانه عامل آخر هو (التّأدّب)، من أجل كسب الولاء والمحبّة.

وابتسامة النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– هي كذلك آليّة تلميحيّة غير لفظيّة، أظهر من خلالها أنّه قد علم سبب وقوف أبي هريرة في طريق النّاس، ودليل ذلك قوله: "وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي".

ثمّ قال له –عليه الصّلاة والسّلام–: "يَا أَبَا هِرٍّ"، وهنا استعمل فعلا تضامنيّا لغويّا، هو (النّداء) بالتّرخيم، من خلال أداة نداء القريب (يا)، وهو قرب محبّة وألفة، واستعمل الكنية (أبا هرّ)، ولعلّ الغاية من ذلك إظهار التّودّد والتّلطّف، أو هي للتّكريم والتّقدير، ويُستدلّ على ذلك ممّا جاء في الحديثين، الأوّلِ: عند التّرمذيّ "عن عبد الله بن رافع قال: قلت لأبي هريرة: لم كُنّيت أبا هريرة؟، قال أما تَفْرُق منّي؟، قلت: بلى والله إنّي لأهابك، قال: كنت أرعى غنم أهلي، وكانت لي هريرة صغيرة، فكنت أضعها باللّيل في شجرة، فإذا كان النّهار ذهبت بها معي، فلعبت بها، فكنّوني أبا هريرة"[1]، والثّاني: هو ما جاء عند ابن حجر العسقلانيّ من أنّ أبا هريرة نفسَه كان يقول: "لا تُكنُّونِي أبا هريرةَ، فإنَّ رسولَ اللهِ –صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه وسلَّمَ– كنَّاني أبا هرٍّ، والذّكرُ خيرٌ من الأُنْثى"[2]. وهذا النّداء –أيضا– هو فعل توجيهيّ ليلفت انتباهه إلى ما سيقول.

ثمّ استعمل النّبي –عليه الصّلاة والسّلام– الأمر كفعل توجيهيّ، فقال "الحق"؛ وأراد بذلك أن يتبعه إلى بيته، ومسوّغ استعمال هذا الفعل أنّ للنّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– سلطتان، سلطته كنبيّ، وسلطته على أبي هريرة الّذي يشعر بالجوع، ولو استعمل معه أي رجل من الصّحابة هذا الفعل للبّاه ولأجابه، ويظهر هنا كرمه عليه الصّلاة والسّلام؛ إذ إنّه استتبع أبا هريرة إلى بيته، وهو لا يعلم إن كان فيه طعام يكفيهما. وعندما دخل –عليه الصّلاة والسّلام– إلى بيته استأذن لأبي هريرة من أهله، ثم أذن له بالدّخول، واستئذانُه في الحالين، يعدّ إستراتيجيّة توجيهيّة، ولا ندري كيف كان هذا الاستئذان، وما الآليّة المستعملة فيه، فقد يكون بالإشارة، وقد يكون بالكلام، أو هما معا.

---

(1) الألبانيّ، صحيح وضعيف سنن التّرمذيّ، ط01، الرّياض، السّعوديّة، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، 1420هـ/ 2000م، باب في فضل مكّة، ج08، ص340، برقم: 3480.

(2) أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلانيّ (المتوفى: 852هـ)، الإصابة في تمييز الصّحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، ط01، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1415هـ/ 1995م، ج07، ص354.

وحينما وجد –عليه الصّلاة والسّلام– في بيته لبنا في قَدَح، استعمل الاستفهام كفعل لغويّ توجيهيّ ليعلم مصدره، وصاحبه، فقال: "مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟"، فقيل له: "أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ"، ولعلّ الحكمة من ذلك أن يعلم إن كان صدقة أم هديّة؛ لأنّه كان يقبل الهديّة ولا يقبل الصّدقة[1]، ولهذا قال أبو هريرة في الحديث: ... وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا...".

ثمّ قال –عليه الصّلاة والسّلام–: "أبا هرّ"، فاستعمل بهدف التّضامن الكنيةَ والنّداء بالتّرخيم مرّة أخرى، لكن هذه المرّة من دون أداة، ولعلّ ذلك زيادة منه في التّودّد والتّلطّف، وهو كذلك فعل توجيهيّ، ليلفت انتباهه إلى ما سيقول، ثمّ قال له: "الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي"، فاستعمل الأمر كفعل لغويّ توجيهيّ في قوله: (الحق)، و: (ادعهم)؛ أي انطلق إلى أهل الصّفة وأخبرهم أن يأتوا إليّ، ليشربوا معنا اللّبن، وفي قوله دلالة على حسن ظنّه بالله تعالى، بأنّه يبارك في الطّعام إذا كَثُر طاعموه، وإن كان قليلا. ولكنّ هذا الأمر ساء أبا هريرة رضي الله عنه؛ لأنّه يعلم أنّ عدد أهل الصّفّة يزيد عن السّبعين[2]، لذا تساءل في نفسه: "وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟"،

ولأنّ اللّبن إذ ذاك قليلٌ، وأبو هريرة في حاجة شديدة إليه، وأنّه كان مع النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام"، قال في نفسه: "كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ؟"، ولأنّ سلطة النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– على أبي هريرة –رضي الله عنه– كانت أقوى من سلطة الجوع، فقد امتثل لأمره، ولم يجد من طاعته بدّا، فأتى أهل الصّفّة ودعاهم.

وحينما أقبل أهل الصّفة إلى النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– "اسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ"، وفعلهم هذا آليّة تضامنيّة، يميّزها مبدأ التّأدّب، وهو كذلك آليّة تلميحيّة، تدلّ على مدى احترامهم وتعظيمهم للنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وأنّهم يرون الفضل له عليهم.

ثمّ نادى –عليه الصّلاة والسّلام– أبا هريرة مرّة ثالثة تودّدا ولفتا لانتباهه لما سيأمره به، ثمّ استعمل فعلين لغويّين أمريين، فقال: "خُذْ، فَأَعْطِهِمْ"؛ أي خذ الإناء، واسق أهل الصّفّة واحدا واحدا، ولعلّ الهدف

---

(1) جاء في: صحيح البخاريّ، مصدر سابق، بَابُ قَبُولِ الهَدِيَّةِ، ج03، ص155، رقم: 2576، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "كانَ رَسولُ اللَّهِ –صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ– إذَا أُتِيَ بطَعَامٍ سَألَ عنْه: أهَدِيَّةٌ أمْ صَدَقَةٌ؟ فإنْ قيلَ: صَدَقَةٌ، قَالَ لأصْحَابِهِ: كُلُوا، ولَمْ يَأْكُلْ، وإنْ قيلَ: هَدِيَّةٌ، ضَرَبَ بيَدِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأكَلَ معهُمْ".

(2) جاء في: صحيح البخاريّ، مصدر سابق، بَابُ نَوْمِ الرِّجَالِ فِي المَسْجِدِ، ج01، ص96، رقم: 442، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ".

من ذلك أن يُعلّمه الصّبر والإيثار على النّفس في أحلك الأوقات. فلَمْ يتعجّب أبو هريرة من أمر النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ولم يسأله –مثلما سأل نفسه سابقا–: "وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟"، ولم يتسخّط أو يتضجّر –على الرّغم من شدّة جوعه–، وذلك تأدّبا منه وطاعة وصبرا، فكان يسقيهم واحدا واحدا، وكأنّه مُضيفهم، دون اشمئزاز، أو كبر، أو إظهار لعدم الرّضا، حتّى ارتووا جميعا، ثمّ سلّم القدح إلى النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام.

أخذ –عليه الصّلاة والسّلام– القدح و"قد بقيت فيه فضلة من اللّبن"[1]، ثمّ نظر إلى أبي هريرة متبسّما، وهذه النّظرة، وهذه الابتسامة هما آليّتان تضامنيّتان وتلميحيّتان، غيرُ لفظيّتين، ولعلّ غايته أن يظهر الحبّ والرّحمة والعطف والودّ له، هذا تضامنا، وأمّا تلميحا، فكأنّه –عليه الصّلاة والسّلام– مثلما عرف الجوع في وجهه، عرف تعجّبه من أن يكفي هذا اللّبن كلّ هؤلاء القوم، فأراد أن يراقب ردّة فعله وهو يرى هذه المعجزة، ويعيشُ أجواءها بنفسه، فنظر إليه متبسّما، وقد كان عليه الصّلاة والسّلام يفرح حينما يمنّ الله –تعالى– عليه بمعجزة من المعجزات[2]. ثمّ نادى –عليه الصّلاة والسّلام– أبا هريرة مرّة رابعة: "أَبَا هِرٍّ"، ثمّ قال له: "بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ"، ولم يذكر من كان معهم في البيت، ويحتمل أنّ أهل الصّفة قد خرجوا، أو أنّهم قد نالوا كفايتهم، ولم يبق إلّا نصيب النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– وأبي هريرة.

وقد استعمل –عليه الصّلاة والسّلام– في الجملة الخبريّة السّابقة الإستراتيجيّة التّضامنية، ولعلّه أراد بالعطف بين الضّميرين (أنا) و(أنت) أن يظهر لأبي هريرة تميّزه عن باقي أهل الصّفّة، وأنّه ذو مكانة عنده، إذ إنّه خُصّ بأن يبقى ويشرب معه.

وربّما استعمل في قوله إستراتيجيّة تلميحيّة، ليبيّن لأبي هريرة أنّ قدح اللّبن الّذي من المفترض ألّا يكفي ثلاثة رجال أو أربعة، قد شرب منه نفر من أهل الصّفّة، وهم كثُر، ولم يبق إلّا أنا وأنت، وسيكفينا ونشرب منه مثلما شربوا، وربّما في ذلك تلميح لأبي هريرة إلى أنّ ما رآه هو معجزة من المعجزات الّتي حبا الله بها نبيّه عليه الصّلاة والسّلام.

---

(1) محمّد عليّ بن محمّد بن علاّن بن إبراهيم البكريّ الصّدّيقيّ الشّافعيّ (المتوفّى: 1057هـ)، دليل الفالحين لطرق رياض الصّالحين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط05، 2018م، ج02، ص 371.

(2) مصداق ذلك الحديث الطّويل الّذي رواه الإمام أحمد رحمه الله، وفيه "... ثمَّ قام فدعا ما شاء اللهُ أن يدعوَ، ثمَّ دعا الجيشَ بأوعيتِهم، فأمرهم أن يحتثوا، فما بقي في الجيشِ وعاءٌ إلَّا ملئوه وبقي مثلُه، فضحِك رسولُ اللهِ –صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم– حتَّى بدت نواجِذُه فقال: أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ، لا يلقَى اللهَ عبدٌ مؤمنٌ بهما إلَّا حَجَبتْ عنه النَّارَ يومَ القيامةِ". (أبو عبد الرّحمن مقبل بن هادي الوادعيّ (المتوفّى: 1422هـ)، الصّحيح المسند ممّا ليس في الصّحيحين، ط04، صنعاء، اليمن، دار الآثار، 1428هـ/ 2007م، ج02، ص293، رقم: 1242).

ثمّ قال أبو هريرة تأدّبا منه، من دون أن يتعجّب، أو يكثر الأسئلة: "صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ"، و"هذه الجملة والّتي قبلها من باب لازم الخبر"[1]، ثمّ قال له النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– مستعملا فعلين أمريين توجيهيّين: "اقْعُدْ فَاشْرَبْ"، أراد بهما الإشارة إلى استحباب الجلوس عند الشّرب، ويظهر مبدأ التّأدّب جليّا في الخطاب السّابق؛ إذ إنّ النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– لم يطلب من أبي هريرة أن يبقي له شيئا من اللّبن.

فقعد أبو هريرة –رضي الله عنه– وشرب، ثمّ كرّر النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– الفعل اللّغويّ (اشرب) مرّة ثانية وثالثة، ولعلّه استعمله هذه المرّة للتّضامن، وذلك "لمّا علم من مزيد حاجته، وشدّة فاقته، ولأنّه ربّما يترك بعض حاجته، ليبقي للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فأمره بذلك ليستوفي إرْبه، وظاهرٌ أنّه كرّر ذلك مرارا، والمذكور في أدب الضّيافة أنّ المُضيف يقول نحو ذلك للضّيف إلى ثلاثة، لا يجاوزها"[2]، وفي هذا التّكرار دلالة على أنّ الرّيّ من اللّبن لا ضرر، ولا حرج فيه، ودليل ذلك قول النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– في حديث آخر: "...إذا أكل أحدكم طعاما، فليقل: اللّهمّ بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرا منه، وإذا سُقي لبنا، فليقل: اللّهمّ بارك لنا فيه، وزدنا منه؛ فإنّه ليس شيء يجزئ من الطّعام والشّراب إلّا اللّبن"[3]. وفي الثّالثة قال أبو هريرة–رضي الله عنه–: "لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا"، فاستعمل الإستراتيجيّة الإقناعيّة من خلال ثلاث آليّات هي: النّفي بـ (لا)، وأسلوب القسم، والنّفي بـ (ما)، ليثبت للنّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– أنّه ما توقّف عن الشّرب إلّا لأنّه قضى وطره، وليس استحياء أو خجلا، ويمكننا تمثيل هذه الاحتجاج في السّلّم الحجاجيّ الآتي:

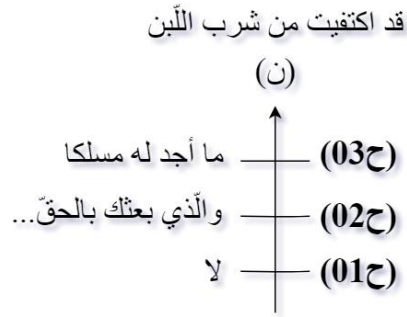

ثمّ استعمل –عليه الصّلاة والسّلام– فعلا لغويّا توجيهيّا آخر، فقال: "فأرني"؛ أي سلّمني القدح، ولعلّ استعمال حرف العطف (الفاء)؛ فيه دلالة على اقتناعه بحجّة أبي هريرة، وكأنّه أراد القول: ما دمت قد

(1) محمّد بن علّان الصّدّيقيّ الشّافعيّ، مرجع سابق، ج02، ص371.

(2) المرجع نفسه، ج02، ص371.

(3) الألبانيّ، صحيح وضعيف سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث السّجستانيّ، مصدر سابق، ج02، ص432، رقم: 3730.

اكتفيت، فأرني القدح لأشرب. ثمّ حمد –عليه الصّلاة والسّلام– اللهَ، وسمّى، وشرب الفضلة، وفي ذلك إشارة إلى أنّ هذه المعجزة هي من عند الله تعالى، فهو وحده له الحمد من قبل ومن بعد، وأمّا شربه للفضلة، فهو آليّة تضامنيّة، فيها دلالة على تواضعه؛ إذ إنّه لم يأنف أن يشرب بعد فقراء المؤمنين، ودلالة على أنّ صاحب البيت وخادمه يكونان آخر النّاس أكلا أو شربا، وأنّ الإيثار من أشرف الأخلاق.

5. خاتمة:

لقد خصّ الله تعالى نبيّه –عليه الصّلاة والسّلام– بلسان مبين، وفصاحة مثلى، فآتاه جوامع الكلم، وبدائع الحكم، وجعل له القدرة على تبليغ المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، في نظام مميّز، وانتقاء مناسب لإستراتيجيّات الخطاب، مع ما يناسب أحوال المخاطَبين والسّياق التّواصليّ. لذا، كانت خطاباته الدّعويّة والتّربويّة والتّعليميّة ذات إفهام وتأثير في من حوله. وقد كانت العلاقة بينه وبين أفراد مجتمعه علاقة تفاعليّة، ذات تأثّر وتأثير، وكان يصوّر كلامه بالإشارة والحركة والرّسم، ليلفت النّظر، ويُنبّه الغافل، ويعين على الحفظ والتّذكّر.

وإنّ دراسة خطابات النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– يحتاج إلى عزم شديد، وقد سعينا من خلال تحليل واحد من هذه الخطابات إلى تعرّف آليّات إستراتيجيّات الخطاب النّبويّ، واعتمدنا في ذلك على المنهج التّداوليّ، وما يوفّره من إجراءات عمليّة، تُمكّن من دراسة اللّغة حال الاستعمال، وقد توصّلنا من خلال البحث إلى النّتائج الآتية:

- ✓ المنهج التّداوليّ قادر على معالجة الخطابات، واستجلاء خصائصها ومميّزاتها التّواصليّة.
- ✓ السّياق التّواصليّ هو ما يجعل من الخطاب خطابا، وله دور هامّ في تحديد نوع الإستراتيجيّة الخطابيّة، وفي فهم مقاصد الخطاب، والتّعرّف على أهدافه.
- ✓ القدرة على الإقناع، والتّأثير، والتّبادل، والتّفاعل، وإثبات الذّات، وبناء العلاقات الاجتماعيّة والحفاظ عليها، هي من بين الغايات الأساسيّة المرجوّة من تعلّم إستراتيجيّات الخطاب.
- ✓ كشف التّحليل التّداوليّ عن استعمال النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– الإستراتيجيّاتِ الخطابيّةَ الأربع في خطاباته؛ التّوجيهيّة والتّضامنيّة والتّلميحيّة والإقناعيّة، وتنويعِه بينها، موظّفا آليّاتها اللّفظيّة وغير اللّفظيّة، وكشَف عن قدرته اللّغويّة والبلاغيّة وبراعته التّواصليّة.
- ✓ الإستراتيجيّتان التّوجيهيّة والإقناعيّة هما أكثر الإستراتيجيّات استعمالا في خطابات النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام.

- ✓ من أساليب التّواصل اللّفظيّ لدى النّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام–: الحوار، التّكرار، تهيئة ذهن المتلقّي لاستقبال الخطاب، الإلقاء الفعّال، ووضوح الكلام، واعتدال الصّوت، وإتاحة الفرصة للمستمعين لمتابعة الكلام، والإنصات إليهم.
- ✓ الخطاب النّبويّ له إستراتيجيّات تواصليّة مُحكمة يمكن التّعرّف عليها، واستنباطها، وجعلها منهجا للتّواصل اللّغويّ، ويمكن الاستفادة منها في بناء برامج تعليميّة تهتمّ بتطوير التّواصل اللّغويّ.
- ✓ من الصّعب الإحاطة بإستراتيجيّات الخطاب النّبويّ، وهذا يحتاج إلى مجلّدات ومجلّدات وإلى سنوات من العمل، كيف لا؟ ولم يُعرف عن أحدٍ تدوينُ سيرته وأقواله وأفعاله في معظمها مثلما عُرف عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، لذا، فإنّ تحليل الخطاب النّبويّ ما زال يحتاج إلى الكثير من البحث والدّراسة، وهو معين لا ينضب، وإنّنا بالرّجوع إليه نستخرج في كلّ مرّة فائدة جليلة، ومعلومة بديعة، ننطلق منها نحو فضاء أوسع في حياتنا الاجتماعيّة والعلميّة والعمليّة.

6. قائمة المراجع:

الكتب:

- أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلانيّ (المتوفى: 852هـ)، الإصابة في تمييز الصّحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، ط01، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1415هـ/ 1995م، ج07.
- أبو عبد الرّحمن محمّد ناصر الدّين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودريّ الألبانيّ (المتوفى: 1420هـ)، صحيح وضعيف سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث السّجستانيّ، ط01، الرّياض السّعوديّة، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، 1419هـ/ 1998م، ج02.
- الألبانيّ، صحيح وضعيف سنن التّرمذيّ، ط01، الرّياض، السّعوديّة، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، 1420هـ/ 2000م، باب في فضل مكّة، ج08.
- أبو عبد الرّحمن مقبل بن هادي الوادعيّ (المتوفّى: 1422هـ)، الصّحيح المسند ممّا ليس في الصّحيحين، ط04، صنعاء، اليمن، دار الآثار، 1428هـ/ 2007م، ج02.
- أبو محمّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابيّ الحنفيّ بدر الدّين العينيّ (المتوفّى: 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، دط، بيروت، لبنان، دار إحياء التّراث العربيّ، 2010م، ج23.
- أحمد المتوكّل، الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة، ط01، الرّباط، المغرب، دار الأمان، 1431هـ/ 2010م.

- بدر الدّين، محمّد بن بهادر بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ المصريّ (المتوفّى: 794هـ)، تشنيف المسامع بجمع الجوامع، تحقيق: أبو عمرو الحسينيّ بن عمر بن عبد الرّحيم، ط01، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 2013م، ج01.
- جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمان بن عليّ بن محمّد الجوزيّ (المتوفى: 597هـ)، تلبيس إبليس، ط01، بيروت، لبنان، دار الفكر للطّباعة والنّشر، 1421هـ/ 2001م.
- حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة و دمنة لابن المقفّع، ط01، عمّان، الأردن، مركز الكتاب الأكاديميّ، 2018م.
- سمير شريف استيتيه، اللّسانيّات: المجال والوظيفة والمنهج، ط02، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، 1429هـ/2008م.
- عبد الرّحمان بن أبي بكر جلال الدّين السّيوطيّ (المتوفّى: 911هـ)، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط01، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1418هـ/ 1998م، ج01.
- عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب (مقاربة لغويّة تداوليّة)، ط01، بنغازي، ليبيا، دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2004م.
- علي بن محمّد كمال بن عبد ربّه، صور من سير رجال حول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، دط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 2003م.
- محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريّ، الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمور رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وسننه وأيّامه: صحيح البخاريّ، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر النّاصر، ط01، بيروت، لبنان، دار طوق النّجاة، 1422هـ/ 2002م، ج01، ج03، ج08.
- البخاريّ ، الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمور رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وسننه وأيّامه: صحيح البخاريّ، تحقيق: محمّد صدقي العطّار، ط01، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1994م.
- محمّد عليّ بن محمّد بن علاّن بن إبراهيم البكريّ الصّدّيقيّ الشّافعيّ (المتوفّى: 1057هـ)، دليل الفالحين لطرق رياض الصّالحين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط05، 2018م، ج02.
- محمود عكّاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظريّة أحداث اللّغة: دراسة تطبيقيّة لآساليب التّأثير والإقناع الحجاجيّ في الخطاب النّسويّ في القرآن الكريم، ط01، القاهرة، مصر، دار النّشر للجامعات، 1435هـ/ 2014م.

المجلّات:

- إبراهيم براهيمي، الإستراتيجيّة التّضامنيّة في "رواية الثّلاثة": دراسة في الوظائف التّداوليّة، حوليّات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، الجزائر، العدد: 07، جوان 2013م.
- فوزي نوريّة صالح، الخطاب المسرحيّ في النّقد الأدبيّ في الخليج العربيّ، مجلّة فصول، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، المجلّد: 16، العدد: 03، 1997م.
- محمود مصطفى الأعصر، بلاغة الرسّول –صلّى الله عليه وسلّم– وفصاحته، مجلّة الفيصل، دار الفيصل الثّقافيّة، الرّياض، السّعوديّة، العدد: 165، ربيع الأولّ 1411هـ/ أكتوبر 1990م.
- هند سحلول، ملامح الأسلوب الإيحائيّ في الخطاب النّبويّ، مجلّة جامعة دمشق للآداب و العلوم الإنسانيّة، جامعة دمشق، سوريا، المجلّد: 33: العدد: 01، 2017م.
- وداد محمّد نوفل، التّواصل وإستراتيجيّات الخطاب الإعلانيّ وبلاغته: نماذج تطبيقيّة، مجلّة بحوث كلّيّة الآداب، جامعة المنّوفيّة، كلّية التّربية، مصر، المجلّد: 24، العدد: 93، نيسان 2013م.

مواقع الأنترنت:

- أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسيّ، شرح كتاب الرّقاق من صحيح البخاريّ، دروس صوتيّة قام بتفريغها موقع الشّبكة الإسلاميّة، الدّرس: 03، الرّابط: https://al-maktaba.org/book/32415/29#p14، تاريخ الاطّلاع: 01/ 10/ 2020م.